

جامعة مُجَّد الصديق بن يحيى – جيجل –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

السنة: الثانية ماستر

تخصص: أدب عربي قديم

المقياس: الأدب الشعبي العربي

المحاضرة رقم 01

الفولكلور

أستاذ المقياس: جقريف رشيد

السنة الجامعية: 2021-2022.

1/ توطئة:

أصبح مصطلح الفولكلور مصطلحا دارجا ليس على أفواه المتخصصين أو المثقفين في عالمنا العربي وحسب، بل في أفواه العامة من الناس لدرجة تم فيها استخدامه بعيدا عن معناه الحقيقي المتضمن البعد العلمي وليس المعنى التراثي المتقادم أو المنقرض أو المتروك مثلما يستخدم في أفواه العامة، وأكثر من ذلك فإن بعض المثقفين والدارسين أعدوا الكثير من الكتب تحت عنوان الفولكلور التقليدي هذا، لتجد أن هذه الكتب ما هي إلا صور لبعض الأدوات والملابس أو قليل من الأغاني الشعبية وغير ذلك، فيما تعكس هذه الكتب أدنى مستوى من الوعي النظري أو غيابه على الإطلاق، وخلافا لما يعتقد بعضهم من أن الفولكلور لا يتعدى أن يكون موضوعا أو مادة للهواة أو المتحمسين أو الرومانسيين أو حتى بعض المحافظين الوطنيين، وإذا كنا لا ننكر على إنسان استخدام تراثه الشعبي بالطريقة التي تناسبه، فإن من حق هذا التراث، على الأكثرين علما وتأهيلا تناوله كمادة علمية من أبعادها المختلفة والحقيقة الأخرى هي أن الفولكلور علم مستقل بذاته منذ عشرات السنين، لذلك ارتأينا توضيح هذه النقاط.

2/ تاريخ ظهور المصطلح وإشكالية المصطلح:

إن مصطلح فولكلور قد أحدث ضجة كبيرة منذ تاريخ ظهوره بين الباحثين والدارسين الغربيين والعرب على حد سواء، فلم يكفد يتفق هؤلاء جميعا على مفهوم واحد لهذا العلم، وكذلك اختلافهم حول العناصر التي يشملها أو يهتم بها الفولكلور، ثم بعد ذلك تضارب المصطلحات وتداخلها بما يدفع الدارس المتخصص إلى الوقوع في حيرة وارتباك، فما بالك بالإنسان غير المتخصص " ولقد تعرض 'طومسون' لهذه القضية، وهي صعوبة الاتفاق على تعريف يرضي به علماء، الفولكلور جميعا، فعبر عن ذلك بقوله: " على الرغم من أن كلمة 'فولكلور' قد مضى عليها أكثر من قرن، فليس هناك اتفاق عام على ما تعنيه هذه الكلمة، ثم يقرر بأن الفكرة الشائعة في الوقت الحالي هي

أن الفولكلور هو: التراث، إنه شيء انتقل من شخصين إلى آخر، وحفظ إما عن طريق الذاكرة، أو بالممارسة أكثر مما حفظ عن طريق المسجل المدون.

ويشمل: الرقص، والأغاني، والحكايات، وقصص الخوارق، والمأثورات، العقائد، والخزعات (المعتقدات الخرافية)، والأقوال السائرة للناس في كل مكان¹.

كما أنه يشمل كذلك: دراسة العادات، والممارسات الزراعية المأثورة، والممارسات المنزلية، وأنماط الأبنية، وأدوات البيت، والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي.

إلا أن أغلب الباحثين يتفقون على أن ظهور المصطلح كان على يد "الباحث الإنجليزي وليم تومز T. J. W. Toms وذلك في أواسط القرن التاسع عشر، كان وليام تومز قد كتب في عام 1846 باسم مستعار هو 'إمبروز ميرتن' رسالة مقالة إلى مجلة المجمع العلمي هي: the Athenaeum اقترح فيها استعمال كلمة فولكلور FOLKLORE الكلمة السكسونية المركبة من (فولك) وتعني الشعب في الإنجليزية القديمة، بينما تعني (لور) حكمة في اليونانية، فيصبح معنى الاصطلاح حكمة الشعب، وأصبح هذا الاصطلاح معتمدا ومشهورا حينما اعتمدته جمعية الفولكلور الإنجليزية التي تأسست عام 1877م.

وقد اقترح 'تومز' هذا الاصطلاح ليدل على دراسة المعتقدات والعادات المأثورة، وكذلك ما كان معروفا حتى ذلك الوقت - بشكل غامض - بالآثار الشعبية القديمة².

واضح كما أشرنا عدم اتفاق أغلب الباحثين حول مادة الفولكلور وعناصر ومجالات دراسته "وقد جاء في التقرير الأول لمجلس جمعية الفولكلور الإنجليزية أن الفولكلور يمكن أن يطلق على ما

¹ فوزي الغيتل: الفولكلور ما هو؟، دار المسيرة، بيروت، ص 35.

² عزام أبو الحمام المطور: الفولكلور، التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م، ص 16-17.

يشمل جميع ثقافة الشعب التي تدخل في نطاق الدين الرسمي، ولا التاريخ، ولكن تنمو دائما بصورة ذاتية"¹.

وقد جعلته الأنسة بيرن ممثلا في " معارف الناس الماثورة سواء كانت بين الأجناس المتخلفة أو بين الطبقات المتخلفة للشعوب المتحضرة، إنه ليس اللغة ولا الفنون أو الحرف اليدوية، لكنه ثمرة الفكر، إنه " فكرة" الإنسان البدائي أو الإنسان المتبربر عبّر عنها في كلمة أو فعل أو عقيدة، أو عادة أو قصة أو أغنية أو قول مأثور"².

ومن بين التعاريف الكثيرة لل فولكلور مثلا:

أ/ الفولكلور هو بقايا القديم وثقافة ما قبل التمدن، أو الموروثات الثقافية في بيئة المدينة الحديثة، هذا التحديد قريب جدا لما عناه (تومز)، وقد تحدد بصورة أوفى عند ' أندرلانج' الذي ميّز علم الفولكلور بأنه دراسة (الموروثات الثقافية)، وقد تضمن قاموس الفولكلور الأمريكي طائفة من مثل هذه التعاريف.

ب/ الفولكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية.

ج/ الفولكلور هو الاصطلاح الجامع لطائفة من الظواهر الماثورة، يؤلف بينها وأنها تعبّر عن دور التراث أكثر من غيرها من الظواهر الثقافية والاجتماعية: ويتميز هذا التعريف بأنه شائع جدا، كما أنه يعني أيضا — من الوجهة العلمية— أنه قد قرر ما هي جوانب الثقافة التي ينبغي أن تعالج كفولكلور.

¹ فوزي الغيتيل، الفولكلور ما هو؟ ص 37.

² أمينة فزاري: مناهج دراسات الأدب الشعبي، ص 16.

د/ الفولكلور يعني الحكايات الشعبية: في هذا التعريف نجد أن " لومالا K.Loumala

يقول بأن الفولكلور يشير في بعض الأحيان إلى نوع من التصنيف غير محدد تحديدا دقيقا كقصص تتميز عن الأساطير بصورة غامضة، وذلك لكون محتواها ودلالاتها أقل جدية بالنسبة لرواتها البدائيين.

هـ/ الفولكلور هو ما انتقل معظمه مشافهة، والأدب الشعبي:

هذا التحديد في الموضوع يرجع ابتداء إلى علماء الإثنولوجيا الأمريكيين، الذين صنفوا المواد الثقافية طبقا لعلاقاتها في داخل المفهوم الشامل للثقافة"، وقد تضمن قاموس الفولكلور عديدا من تعريفات هذا النمط وكان من بين هؤلاء باسكوم وفوستر وسميت وغيرهم.

و/ الفولكلور هو الثقافة التي انتقلت مشافهة بشكل عام (التراث الشفوي):

د/ الفولكلور هو الثقافة الشعبية¹:

هذه من بين بعض التعاريف التي ذكرها فوزي العنتيل واجتزأناها للتدليل فقط على كثرة التعاريف وتداخلها.

" أما أحدث تعريفات الفولكلور فهو أن الفولكلور — بالنظر إلى مادته — هو : المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة 'التراث الشفوي' ، وهو أيضا: العلم الذي يدرس هذه المأثورات"²، ويذكر فوزي العنتيل بأن هذا التعريف مطابق لتوصيات مؤتمر الفولكلور الذي عقد في 'أرنهيم' بهولندا سنة 1955، وكذلك يصرح بأنه مسابير للصياغة الأولى معنى الكلمة التي وضعها تومز 1846 حين عرّف الفولكلور ، كما يرى أن هذا المفهوم مسؤول عن كل ألوان الجدل التي أثّرت بعده حتى يومنا هذا، وبالخصوص العلاقات الملتبسة القائمة بين الفولكلور والإثنولوجيا³.

¹ ينظر: فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو، ص 36-41.

² نفس المرجع ، ص 44.

³ نفس المرجع، ص 44.

3/ بين التراث الشعبي والفولكلور:

إن الترجمات العديدة التي قام بها بعض الباحثين العرب التي حاولت احتواء المصطلح الغربي (فولكلور) تراوحت تقريبا بين هذه المصطلحات:

أ/ علم المأثورات الشعبية: وهو المصطلح البديل الذي أقرّه المجمع اللغوي بالقاهرة كمقابل لمصطلح فولكلور.

ب/ الثقافة الشعبية.

ج/ التراث الشعبي: وهذا الأخير أكثر المصطلحات العربية رواجاً واستعمالاً حيث يرى فيه جملة من الباحثين أنه يتوافق ويتناسب مع ما تطلق عليه الدوائر العلمية حالياً مصطلح فولكلور.

فهذا عبد الحميد يونس يرى مطابقة مصطلح التراث الشعبي لمصطلح " فولكلور " قائلاً: " والنظرة المتكاملة التي تحيط بالتراث الشعبي ترادف " الفولكلور "، وإذا كان بعض الدارسين يستشعرون الخلاف اليسير بين المجالين، ولم يعد " تراث " الشعب مقصوراً - من الناحية الثقافية - على المجتمعات الدنيا، فإن الأفراد المتعلمين بالمعنى الخاص، والبيئات المؤثرة في المدينة يصدر عن عناصر شعبية كامنة وظاهرة، مهما كان الفارق في السلوك أو المرتبة الاجتماعية"¹.

وقد تطرق الباحث أحمد زياد محبك إلى هذه القضية بشيء من التفصيل موضحاً حدود العلاقة ونقاط التنافر والالتقاء، وفي هذا يقول: " وإن كلمة فولكلور الانجليزية التي استعملها أول مرة وليم طومس سنة 1864م لا تعني ما يعنيه مصطلح التراث الشعبي وإنما تعني في اللغة حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية وهي تعني في الاصطلاح النتاج الشعبي كله، وقد اقترحت في اللغة العربية بعض المصطلحات البديلة من مصطلح التراث الشعبي مثل: الموروثات الشعبية والمرددات الشعبية والفنون

¹ عبد الحميد يونس: التراث الشعبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت، ص04.

الشعبية والشعبيات، ولكن لم تحظ هذه المصطلحات من القبول والانتشار مثلما حظي به مصطلح التراث الشعبي، ولدعم انتشار مصطلح التراث الشعبي وتأكيده وحدته في الأقطار العربية يبدو أنه لا بد من القبول به ولكن لا بد أيضا من تأكيد أن معناه يجب ألا يقتصر على القديم من النتاج الشعبي وإنما يجب أن يشمل كل قديمه وحديثه¹. إن زياد محبك هنا يوجه دعوة صريحة إلى الاستعمال الشرعي لمصطلح الفولكلور الانجليزي حتى وإن كان يرى فيه عدم التطابق ولكن ذلك بدعوى توحيد مصطلح الفولكلور، الذي قد شق طريقه بين المصطلحات، زد على ذلك انتشاره الواسع بين عدة دول بوصفه مصطلحا عالميا على غرار مصطلح التراث الشعبي الذي لم يجتمع عليه العرب أنفسهم وهناك من يفضل أو يستعمل المصطلح الانجليزي بدلا منه.

ويدعو أحمد زاد محبك إلى توسيع دلالة مصطلح التراث الشعبي بآلا نجعله مقتصرًا على القديم فقط من النتاج الشعبي بل أن نطلقه على قديمه وحديثه، يقول " وإن حيوية النتاج الشعبي واستمراره تبرز خطأ المصطلح الشائع في الدراسات العربية وهو التراث الشعبي إذ يدل هذا المصطلح على القديم من النتاج الشعبي فحسب وكأنه نتاج قد انقطع أو كأن القديم منه وحده الجدير بالدراسة على حين أن النتاج الشعبي نتاج حي متواصل ولا يمكن أن تقتصر قيمته على القديم منه².

هنا يقر زياد محبك بصعوبة إحلال مصطلح التراث الشعبي محل مصطلح الفولكلور لاقتصاره في الدلالة على القديم دون الحي الجاري في الاستعمال على غرار ما ذهبت إليه أهم تحديدات الفولكلور التي ترى بأنه الجانب المأثور من الثقافة الشعبية أي ما بقي - منه حيا جاريا بين الإنسان سواء من خلال الممارسة أو التداول (الشفوي) أو الاعتقاد، وهنا يمكن أن نوجه نقدا وجهه كثيرون لمصطلح (فولكلور) إذ ينفون ويخرجون من دائرته بقايا التراث القديمة والمندثرة أمثال الأساطير والخرافات وغيرها من الفنون التي لم تعد مستعملة، وهنا تشير الباحثة 'أمينة فزاي' نقلا عن 'الأستاذ محمد عيلان' ما

¹ أمينة فزاي: مناهج ودراسات الأدب الشعبي، ص 18.

² نفس المرجع، ص 19.

مفهومه إذا كان الفولكلور هو كل ما بقي حيا جاريا في الاستعمال فإن مصطلح سيرفيولس (الموروثات الشعبية) هو أقرب المصطلحات الغربية إلى مصطلح التراث الشعبي العربي¹.

أما فوزي العنتيل فيرى أن استعمال مصطلح التراث الشعبي أوفق وأحسن من استعمال المأثورات الروحية والشفوية، أو مصطلح فولكلور قائلا: " والنتيجة التي نودّ أن نصل إليها من كل ذلك هو أن ندرك الدواعي التي اقتضت استخدام اصطلاح جديد أكثر وفاء ودلالة من اصطلاح المأثورات الروحية الشفوية أو والفولكلور.

أما هذا الاصطلاح فهو: التراث الشعبي Folkloradition وأعتقد أنه من الأوفق أولا بصورة مجملية لمفهوم " الثقافة الماثورة" والثقافة الشعبية، وكذلك لمفهوم التراث الشعبي والتفسيرات المختلفة له"².

لم يطرح فوزي العنتيل هذه الفكرة جزافا وإنما بعد أن استعرض عشرات المفاهيم لباحثين غربيين وعرب وبعد أن أفاض في مقدمة كتابه ثم نجده لا يجد حرجا في تخير مصطلح " التراث الشعبي" في الفصول الموالية متخليا بذلك عن المصطلح الأجنبي وعن بقية الترجمات الأخرى.

4/ الإرهاصات الأولى لتشكيل مصطلح وعلم الفولكلور:

كان الأخوان 'يعقوب جريم' و'وليام جريم' في ألمانيا قد سبقا 'تومز' في دراسة الحكايات المنزلية في عام 1812، إذ جمعا الكثير من الحكايات الشعبية وتناولوها بالتحليل والتصنيف فيما اعتبر المرة الأولى التي تخضع فيها مادة تراثية مناهج الدراسة العلمية، وكان الاهتمام بالفولكلور قد ارتبط ارتباطا وثيقا بتيارات الرومانسية والقومية في القرن التاسع عشر، وكان تمجيد الإنسان البسيط يتضمن اهتماما حميما بكلامه وعاداته التي كان يعتقد أنها في طريقها للانقراض، وشهدت ألمانيا جهود جبارة وشاملة في محاولة توثيق التراث الشعبي منذ وقت مبكر، مما هيأ الظروف المناسبة لنمو دراسات

¹ ينظر: أمينة فزازي: مناهج ودراسات الأدب الشعبي ، ص 19.

² فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو، ص 76.

الفولكلور الجادة والمتعمقة، والتي يرمز لها بجهود 'الأخوين جريم' عادةً، ويشار كذلك إلى جهود وإسهامات أخرى في الدول الأوروبية، وخصوصا في فنلندا التي كانت قد عانت الاحتلال السويدي، وتخصت الجهود الفنلندية عن واحد من أعظم أرشيفات الفولكلور في العالم كله¹.

أ/ الفولكسكندة volkeskunde والفولكلور:

هناك من العلماء من يرى أن المصطلح هو ترجمة للكلمة الألمانية فولكسكندة التي عرفتها الدراسات الألمانية بداية القرن التاسع عشر والبدايات الفولكلورية.

"ويعني هذا الاصطلاح: الإثنولوجيا الأوروبية الإقليمية، والفولكلور أيضا، وبخاصة في الأقطار التي تتكلم الألمانية.

وقد ابتدعت هذه الكلمة في أعوام (1806-1808) عندما نشر ' برنتانو Brentano، و' فون أرنيمن von arnim ' مجموعتهما من الأغاني الشعبية المسماة: " البوق المعجز للصبي".

غير أن المصطلح الجرمانى لم يستخدم كثيرا، حتى التقطه ثانياة ' رايل w.h.riehl ' مؤسس الفولكسكندة العلمية الحديثة في منتصف القرن الماضي، وإن كان المقطع الأول من الكلمة volk ظل مستخدما لمدى ثلاثين عاما، فقد نشر ' هررد herder ' كتابه (أصوات الشعوب في أغانيها) سنة 1807 لأول مرة في (1798-1799) تحت عنوان: أغنيات شعبية².

حيث يعود الاهتمام بالمادة الفولكلورية إلى تلك الكتب التي كتبت حول بعض الأجناس البشرية أو الشعوب والأقوام مع نهاية العصور الوسطى مثل كتاب جرمانيا (لتاسيتوس) الذي نشر في القرن 15 ولقي اهتماما كبيرا من قبل الدارسين الألمان وأعيد طبعه عدة مرات، وحدا الدارسون حدوده فظهرت عدة دراسات ترمي إلى وصف سكان بعض المناطق وتؤرخ لحياتهم مثل كتابات 'سباستيان

¹ ينظر: عزام أبو الحمام المطور: الفولكلور التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج، ص 17-18.

² فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟، ص 32.

فرانك Sebastian frank ' التي وصف فيها الأحياء والمدن الألمانية في القرن 16 واستمر الاهتمام بالمواد الفولكلورية في القرون التالية.

ب/ المورثات الثقافية survivals:

ارتبط هذا الاصطلاح أكثر بعالم الاجتماع والأنثروبولوجي تايلور Tylor أما في الاستعمال المعاصر فهناك تعريفات مختلفة له، منها أنه عنصر ثقافي موروث من أوضاع أقدم منه ثقافيا، أو أن الموروثات هي بعض عناصر الثقافة التي ربما تكون قد فقدت وظيفتها الأصلية من غير أن تكتسب وظيفة جديدة.

وفي الانثروبولوجيا الاجتماعية social. anthropologie يعني هذا المصطلح:

خاصة ثقافية لا تزال باقية بشكل غير واضح، أو لا تزال باقية بغير دور وظيفي، ولكن يفترض أنها كانت لها وظيفتها بطريقة أكثر دلالة، أو أكثر أهمية في أحد الأزمنة السالفة، وإذا فإنها تثير بصورة مفيدة بالنسبة لأغراض النظرة التاريخية إلى الأشكال الثقافية المبكرة¹.

ما يهمنا نحن هنا هو علاقة هذا المصطلح بالفولكلور من جهة، وتداخله معه في جوانب مهمة، وكذلك علاقته بمصطلحات أخرى مماثلة كالثقافة الشعبية والمصطلح العربي الذي أشرنا إليه سابقا وهو التراث الشعبي ومدى قرابته وتعبيره عن هذا المصطلح.

5/ الفولكلور والعلوم الأخرى:

إن الالتباس الواضح منذ البداية حول تحديد مفهوم الفولكلور ناتج أساسا عن تداخله وتشابكه مع عدة علوم ومجالات أخرى، حيث إن العديد من المجالات التي يهتم بها علم الفولكلور كانت أساسا موضوعات لعلوم أخرى قائمة بذاتها كالأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، ثم الانثروبولوجيا الاجتماعية، حيث لم يكن من اليسير كما تشير كثير من الأبحاث فصل واستقلال الفولكلور عن هذه

¹ فوزي العنتيل: الفولكلور ما هو؟، ص 23.

العلوم وتحديد مجاله ومن ثم مجال دراسته ومناهجه، كما له علاقات ببعض العلوم الإنسانية الأخرى كالتاريخ، وعلم النفس بالأخص، وإذا كان اهتمام العلوم الإنسانية منصباً على الإنسان بوصفه عنصراً مؤثراً وفاعلاً في بيئته ومحيطه وموضوعاً مهماً للدراسة والبحث من خلال آثاره التاريخية والثقافية وعلاقته وتركيبته الإثنولوجية والأنثروبولوجية، فقد فصل ووضح كثير من الباحثين حدود التداخل والتشابك وحدود العلاقة على غرار ما قدمه فوزي العنتيل في أبحاثه خصوصاً كتابه (الفولكلور ما هو؟) وكذلك الباحث الأنثروبولوجي محمد الجوهري وعزام أبو الحمام المطور في كتابه (الفولكلور التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج)، وهذه المراجع في حد علمنا تميّط اللثام عن هذا الجانب الذي يضيق المجال في هذه المحاضرة للتطرق إليه.

6/ تقسيمات الفولكلور أو مجالات اهتمام الفولكلور:

لقد تعددت تقسيمات العلماء للفولكلور واختلفت طبقاً لوجهة نظر كل منهم، ويمكن حصرها في النقاط التالية:

أ/ الوحدات العمرانية (القرية والمدينة) والكفر.... إلخ.

ب/ المباني والمسكن والبيت، وأجزأؤه وزينته والأثاث والأدوات المنزلية والأواني.

ج/ الثقافة المادية، وثقافة ما قبل التمدن، وبقايا القديم، وكذلك الثقافة التي انتقلت مشافهة بشكل عام (التراث الشفوي).

د/ الحياة الاقتصادية وأدوات العمل الزراعي، وتربية الماشية وأسواق الفلاحين.

هـ/ الغداء، و/ الأزياء، ز-ح/ العادات والتقاليد الشعبية.

ط/ المعتقدات الخرافية والخزعبلات - ي- الأدب الشعبي، ك/ الحكايات الشعبية - ل-
الفنون، م/ الاحتفالات والمهرجانات الشعبية، س/ التمثيل، ع/ الرقص، الأغنية الشعبية، الموسيقى
وآلاتها، الألعاب الرياضية، الحرف الشعبية¹.

¹ حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 1993م،
ص 08-09.